قضايا القرآن والفكر

في حوار مع

آية الله الشيخ مكارم الشيرازي

اعداد: مكتب التوحيد في قم

● الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فقيه ومفكر ومفسر للقرآن، أحد أساتذة البحث الخارج (الدراسات العليا) في الجامعة العلمية في قم، درس على كبار مراجع الدين، كآية الله البروجردي والامام الخميني. له مايقرب من ٩٠ مؤلفاً، أبرزها «التفسير الأمثل».

□ التقينا سماحته في المؤسسة العلمية الخاصة (مدرسة أمير المؤمنين «ع»)، وجرى معه الحوار في جولتين، وضمن ثلاثة محاور: «القرآن الكريم» و «الفقاهة والاجتهاد» و «قضايا التنمية والتخلف».

القرآن الكريم

● التوحيد: لكم تجربة ميمونة في مجال تفسير القرآن الكريم، وهي تجربة «التفسير الأمثل» الذي يصدر باللغات العربية والفارسية والانجليزية. ويبدو ان منهج هذا التفسير يتميّز ببعض الخصوصيات عن المنهج في التفسير التقليدي المتبع، فنود من سماحتكم بيان ذلك.

■ الشيخ مكارم الشيرازي: بسم الله الرحمن الرحيم. نشكر ـ أولاً ـ اسرة تحرير مجلة التوحيد الاسلامية لاتاحتها هذه الفرصة لي، للحديث الى القراء والاجابة عن الأسئلة العامة التي تطرحها.

ان هناك بحثاً طويلاً حول التفسير الأمثل «تفسير نمونه» الذي تم اعداده من قبل جمع من الأصدقاء تحت اشرافي خلال مدة تقرب من ١٥ سنة. غير اني أودّ أن ابيّن عدة مسائل حول التفسير

أولاً: ان اولى الخصوصيات التي يمتاز بها هذا التفسير هي انه أُعد ليكون شاملاً لمسائل العصر، أي انه يستعرض أهم مسائل العصر فتطرح الأسئلة والنقائص والاحتياجات وكل مايرتبط بهذا المجال. وبعبارة اخرى فان الهدف من تأليفه هو مطالعة القرآن وتفسيره بالقياس الى عصرنا الحاضر، لا أن ننقل أنفسنا عدة قرون الى الوراء ثم نفسره بالقياس الى ذلك العصر. فهدفنا ان ننظر للقرآن بعين العصر الحاضر.

هدفنا أن ننظر للقرآن بعين العصر الحاضر ومتطلباته

ثانياً: لقد حاولنا دائماً في هذا التفسير تجنب ذكر أي اختلاف في الأقوال، مما قد يجعل القارىء في حيرة، بل كنا نختار من بين التفاسير أصح الأقوال وأحقها.

ثالثاً: ان هذا التفسير يخلو من كل تعقيد قد يُبعد الناس عن القرآن، وبتعبير آخر هو تفسير ينسجم مع طبيعة القرآن. فالقرآن يقول «بلسان عربي مبين» ونحن حاولنا أيضاً ان يكون تفسيرنا بلسان عربي مبين، فقد تجنبنا التعابير المعقدة والألفاظ المبهمة التي قد تؤدي الى ابتعاد الناس عن القرآن. تلك ثلاث نقاط مهمة عن التفسير كان من اللازم بيانها.

● **التوحيد: السيد الشهيد محمد باقر الصدر(رض) كان قد طرح فكرة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم قبالة ماهو سائد من التفسير الذي اطلق عليه التفسير التجزيئي، في القرآن الكريم. وهناك محاولات معدودة في هذا المجال بالرغم من الحاجة لمثل هذا النوع من التفاسير، لما تعطيه من نظريات قرآنية جاهزة عن موضوعات الحياة، والمجتمع، والدين. فما هو رأيكم بهذا التصنيف، وهل قامت محاولات من هذا النوع هنا (في الجمهورية الاسلامية)؟**

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** ينبغي في الاجابة عن السؤال الأول ان ابيّن انّ جميع مؤلفات السيد الشهيد الصدر (رض) مفيدة، وكتابه هذا، كباقي كتبه، مفيد وبنّاء يستحق المطالعة، اذ فيه ضرب من الابتكار والأهمية. واما حول التفسير الموضوعي، فمن الضروري أن أقول اني قمت قبل (خمس أو ست سنوات) بمشروع من هذا القبيل، وذلك بعد فراغي من «**التفسير الأمثل**». وقد طبع منه خمسة أجزاء الى الآن، بينما الجزء السادس منه مازال تحت الطبع. وكان الاقبال عليه كبيراً وقد أسميته «بيام قرآن» أي «رسالة القرآن». وقد اتجهنا فيه أولاً صوب المعارف الاسلامية، أمثال: الله في القرآن، وصفات الله في القرآن، والمعاد في القرآن، ونظرية المعرفة في القرآن. وكان المجلد الأول في نظرية المعرفة في القرآن، والثاني في دلائل التوحيد واثبات وجود الله، والثالث في صفات الله، والرابع والخامس في المعاد في القرآن. وقد حاولنا في هذا التفسير اتخاذ طريقة خاصة ـ أيضاً ـ على غرار الطريقة التي اتبعناها في «التفسير الأمثل»، ونرجو أن تكون مبدأ حركة في التفسير الموضوعي. وهناك جهات ومؤسسات اخرى عملت ـ والحمد لله ـ في هذا المجال. فلم يكن الأمر منحصراً بمدرستنا

فقط. لكن الذي انجز في مدرستنا عبارة عن خمسة مجلدات في المعارف. وهناك ثلاثة أجزاء اخرى، اثنان منها في الانبياء ونبي الاسلام في القرآن، والثالث وهو الجزء الثامن من الدورة في الامامة والحكومة في الاسلام، فتتم دورة المعارف الاسلامية للقرآن في ثمانية أجزاء. كما يمكن التعرض لامور اخرى كالأخلاق والسياسة والمسائل الاجتماعية وغيرها في التفسير الموضوعي أيضاً.

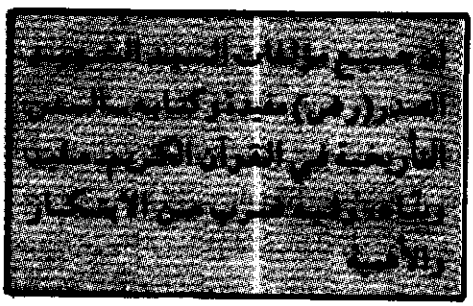

● التوحيد: لماذا لاتوضع علوم القرآن الكريم كمادة أساس في دروس الحوزة العلمية في قم اسوة بعلوم الفقه والاصول والحديث واللغة؟

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** ان هذا الرأي ـ والحمد لله ـ أخذ يسود شيئاً فشيئاً ويعم. وقد تم في العام الماضي البدء بتفسير العلوم القرآنية في قسم تخصصي في الحوزة. واجري امتحان لعدد كبير من الطلبة، واختير منهم خمسون ونيف ليدرسوا فيها. وقد تقرر أن أكون المشرف عليها، فأعددت برنامجاً للدروس، وبدأت اولى جلسات درسنا في ختام العام الماضي، ونرجو أن نواصل الطريق ـ باذن الله ـ هذا العام أيضاً. ومن المحتمل أن يتخرج عشرون من هؤلاء كمتخصصين في تفسير العلوم القرآنية. ويتسع المجال في الأعوام القادمة للمزيد من الطلاب ـ ان شاء الله ـ. وعلى كل فان الحوزة قد أولت اهتماماً وعناية خاصة للأمر، كما ان دروس التفسير منتشرة على نطاق واسع فيها أيضاً.

● التوحيد: ألا ترون أن هذا العدد ضئيل مقارنة بالعدد الهائل لمنتسبي الجامعة العلمية في قم؟

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** عندما يراد الشروع في عمل ما يبتدىء يسيراً ثم يتطور تدريجياً وفق منهج ونظام صحيحين، فلو شئنا أن نعلن منذ البداية بأننا نريد قبول مايقرب من (٤ ـ ٥) آلاف طالب في هذا القسم من العلوم فيدرسون مدّة في الدورة ثم يتجهون صوب التخصص لما كان تصرفنا هذا عملياً. فان الله سبحانه ـ على قدرته وعظمته ـ بدأ خلق الانسان من نطفة وفي هذا درس لنا، فليكن هدفنا عالياً. فليس الهدف تخرج خمسين فقط، بل تخرج خمسة آلاف أو عشرة آلاف في الأقل، لكن البدايه يجب أن تكون من هذا العدد الضئيل.

الثقافة والاجتهاد

● التوحيد: برز خلال السنوات الأخيرة في المحافل العلمية أتجاهان فقهيان، لكل منهما مبانيه وأسسه وأدلته، أحدهما يدعو للفقه التقليدي، والآخر للفقه المتحرك، فما هي برأيكم الدواعي والعوامل العلمية لبروز هذين الاتجاهين؟

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** أعتقد ان

الذي ادى الى ذلك هوظهور مجموعة من المسائل المستحدثة، لاسيما بعد انتصار الثورة الاسلامية وقيام الحكومة الاسلامية في ايران. فلابُدَّ من الاجابة عن المسائل المستجدة، كقضايا العالم المعاصرة والحياة العصرية، وما يتعلق بمسائل الحكومة والقضاء والاقتصاد ومسائل الاعلام المعاصرة. وقد ذهب العلماء فيها مذهبين، بين جامد على جملة من المسائل لايريد تجاوزها، فهو لايبدي جواباً مقنعاً لحل هذه المشكلات، وهذا هو الخط المتحجر الذي لايعني إلاّ ايصال المجتمع الى طريق مسدود، وبين مفرط في الطرف الآخر يريد أن يجعل من الفقه عجينة يصبها في أي قالب شاء وبأي حجم أراد. فهو يفرض رأيه على الفقه. فاذا كان المراد من الفقه التقليدي ذلك التجرد والجمود، بحيث لايمكننا مواجهة مسائل العصر، فذلك غير صحيح. واذا كان المراد من الفقه المتحرك جعل الفقه أسير أفكارنا وتصوراتنا فنخرج الأحكام كيف شئنا ونجعل منها لعبة لنا، فهذا غير صحيح أيضاً. وعلى كلٍ فان منشأ النزاع والأخذ والرد هو متطلبات العصر، حيث أدت الى ظهور اتجاهين فكريين في الفقه. واني أعتقد بخطأ كليهما، فلا الاتجاه الأول الذي يعني الجمود صحيح، ولا الثاني الذي يجعل الفقه لعبة في يديه صحيح أيضاً، بل هناك اتجاه ثالث بينهما أؤيده وأميل اليه، فان كان الأمر بحاجة الى بيان أكثر بينت.

● التوحيد: نفهم من ذلك ان هناك اتجاهاً توفيقياً ثالثاً، ولكن قبل الحديث عن ذلك هل تعتقدون ان هذين الاتجاهين مختلفان بحيث لايمكن الالتقاء على نقاط مشتركة، فيما لو أصرّ كل اتجاه على مبانيه؟

اذا كان المراد من الفقه التقليدي ذلك التحجّر والجمود وعدم معالجة مسائل العصر، فذلك غير صحيح

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** أعتقد بامكان ذلك، فان السبيل الصحيح هو سبيل الجمع، وذلك بعدم الخروج عن حدود أدلة الأحكام، فتبقى أدلة الأحكام كما هي في الكتاب والسنة. غير اننا نفكر بحل للموضوعات المستحدثة والتغيرات الحادثة فيها، فان الحكم تابع للموضوع، فان تبدّل الموضوع أو تغيّر، تبدّل وتغيّر الحكم أيضاً. فاذا اتفقنا على ان الأحكام ثابتة والموضوعات وحدها المتغيرة، كان ذلك نقطة اشتراك بين الفقهين، ونكون قد أبرزنا جواباً واضحاً للمسائل المستحدثة ولم نخرج عن اطار الأدلة الفقهية. طبعاً ان هذا العمل دقيق للغاية فينبغي العمل فيه بدقة، وبه يمكن الجمع بين الاتجاهين حسبما أعتقد.

● التوحيد: اذن سماحتكم لاتدعو الى الفقه التقليدي بمفرده ولا الى الفقه المتحرك بمفرده أيضاً، وانما تدعو الى خطٍ مشترك بين الفقهين.

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** أجل، أعتقد بعدم صحة الجمود أو التحرك، بمعنى أن نجعل الفقه لعبة بأيدينا، بل نختار منهجاً سليماً وأصيلاً بين المنهجين، بحيث لايمكن للفقيه المرور إلاّ من خلاله. هذا الاتجاه موجود الآن وقد ركّزت في أبحاثي عليه، وخاصة في الحوزة العلمية في اصفهان حينما دعيت للتدريس هناك قبل فترة. وقد تعرضت للمسائل المستحدثة مستعيناً بهذا المنهج، فأبقيت

الأحكام في أبعادها وصرفت اهتمامي الى تغييرات الموضوعات.

لا أعتقد بصحة الجمود ولا بصحة التحرك بمعنى أن نجعل الفقه لعبة بأيدينا، بل نختار منهجاً سليماً وأصيلاً بين المنهجين

● **التوحيد: يدعونا هذا الحديث للتطرق الى مسألة أخرى، لها ارتباط بمباني الاتجاهات الفكرية المذكورة في الفقه، وهي قضية دور الزمان والمكان في عملية الاستنباط الفقهي، فنود لو بيّنتم دور هذين العنصرين في هذا المجال؟**

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** لاريب ان الاجابة عن هذا السؤال تكون واضحة بعد الاشارات التي أسلفنا ذكرها، على الرغم من كونها اشارات فنية وتحتاج الى شرح طويل. فان الزمان والمكان لايُغيران الأحكام بل الموضوعات. وكمثال على ذلك نقول ان نفوس المسلمين تزيد الاسلام قوة وقدرة كلما ازدادت، فلو فرض اننا بلغنا مرحلة تؤدي فيها زيادة نفوس المسلمين الى الركود في برامج تقدم المجتمع لكان الأمر على العكس تماماً، فالقرآن يقول في دعاء نوح: واني قلت لهم: «**استغفروا ربّكم انه كانَ غفّاراً * يُرسلِ السماءَ عليكم مدراراً * ويُمددكم بأموالٍ وبنين**» فاذا كان المال موجباً للامداد، والبنون سبباً له فهو صحيح، واما اذا كان البنون خلاف الامداد فليس كذلك، فهذا الموضوع قد تغيّر، واذا تغير الموضوع يتغير الحكم.

ومثال آخر يتعلق بمسألة بيع الدم وشرائه، فان بيع الدم كان حراماً سابقاً، وهو الآن حلال، حيث يحتوي على منافع. فقد كنا نقول بأن مالامنافع محللة له فان بيعه وشراءه حرام، وان ماله منافع محللة فان بيعه وشراءه جائز. فلو ترك الزمان أثره وتغير الموضوع وصار لما لا منافع محللة له منافع محللة هي انقاذ حياة انسان وانقاذ المرضى من الموت جاز بيعه وشراؤه، برغم ان الحكم لم يتغير، بل الموضوع وحده هو الذي تغير.

وهكذا فنحن نعتقد بأن الزمان والمكان يتركان أثراً لكن لا في الأحكام الإلهية المباشرة «**فحلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة**» و «**اليومَ أكملتُ لكُمُ دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكُمُ الاسلام ديناً**». انما الموضوعات هي التي تكون في تغيّر دائم وتبدل مستمر. وقد كان فقهاؤنا يكتبون في كتبهم الفقهية ان شراء وبيع الثلج في الشتاء باطل، لكن في الصيف صحيح، إلاّ أن الموضوع قد تبدل، اذ أصبح لبيع الثلج في الشتاء منافع، فأصبح بيعه وشراؤه صحيحاً أيضاً.

● **التوحيد: ماهو موقع الزمان والمكان بالقياس الى أدلة الاستنباط الأربعة: القرآن والسنة والاجماع والعقل؟**

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** ان هذا السؤال اتضح جوابه مما سبق. اذ ينبغي ـ أولاً ـ معرفة ان هناك موضوعاً وحكماً، والزمان والمكان انما يكونان سببين لتغيّر الموضوعات، وتغيّر الموضوع يكون سبباً لتغير الحكم. والأدلة الأربعة في مرحلة الحكم، والزمان والمكان في مرحلة الموضوع، وهما في أفق مختلف، ولايمكن ضم

أحدهما الى الآخر. وبتعبير علمي نقول: ان الأدلة الأربعة وكل من الزمان والمكان ليسا في عرض واحد، بل أحدهما في طول الآخر. وانما تكون الأدلة خمسة اذا كانت في عرض واحد، والزمان والمكان في طول الأدلة الأربعة المعروفة لافي عرضها. وعموماً، البحث في الزمان والمكان بحث موضوعي ويحتاج الى الخبرة للتشخيص، والبحث في الأدلة بحث حكمي وفقهي.

التنمية والتخلف

● التوحيد: يزعم بعضهم ان الثقافة الاسلامية وضعت الانسان المسلم بين حدين (الدنيا والآخرة)، الأمر الذي جعله زاهداً في الاولى، غير ساع لتطويرها، لأن الدنيا بنظره «ممر» وان الآخرة هي «المستقر». وهذا ماجعل المسلمين غير مبالين بمسائل التقدم والتنمية في الوقت الذي سبقهم أعداؤهم في هذين المجالين. كيف تنظرون الى هذه الاشكالية؟

■ الشيخ مكارم الشيرازي: ينبغي في الاجابة عن الاشكالية التي طرحتموها التنبيه على عدّة مسائل:

الأولى: ان الزهد لايعني أبداً أن يحيا المرء منقطعاً عن الدنيا أو فقيراً فيها. فليس الزهد بالمظهر وانما هو بالفكر والنظر. فرب رجل لديه كل وسائل العيش المادية وهو زاهد. وآخر لايملك سوى قميص عادي وهو ليس بزاهد، بل راغب في الدنيا أيضاً. ذلك أنّ حقيقة الزهد هو أن يرى المرء الدنيا وسيلة لاهدفاً. فالدنيا اذا أصبحت هدفاً للمرء فذلك راغب لا زاهد. ولا فرق في مايستهدفه، قلماً كان أو قميصاً أو تفاحة، فهدفه الدنيا وهو راغب لا زاهد. فلو فرض مثلاً ان الدنيا اجتمعت لانسان ولم يكن يراها إلاّ وسيلة لبلوغه شاطئ السعادة فهو زاهد لا راغب. فلو وضعت كل ثروات العالم بيدي ـ مثلاً ـ واتخذت منها وسائل اعلامية وتبليغية أنشر بها حقائق التوحيد ومسائل الأنبياء والقرآن وأُعين الضعفاء والمساكين لينجوا من الفقر فأنا زاهد حقاً. واما اذا كان عندي مالايعبأ به من المتاع وكنت أرى فيه هدفاً لي فلست حينئذٍ بزاهد. والتصور الغلط لمعنى الزهد سبّبه الاعتقاد بأن الزهد يكافئ الفقر. وعلى هذا فحقيقة الزهد هو طرز فكر ورأي ونظر، لا التوجه نحو الامتلاك في الخارج وعدمه.

وبعبارة اخرى، فان الفرق بين الزاهد والراغب هو أن الزاهد أمير على الدنيا، والراغب أسير مرتهن فيها. فربّ صاحب دار وضيعة أسير لها ومرتهن بها، بنحو قد يكون مستعداً لترك مبادئه وكرامته من أجلها، فهذا راغب في الدنيا عبد لها. وأما الزاهد فهو الذي لو وهبت له كل دور الدنيا، لكان أميراً عليها لا أسيراً لها. وعلى كلّ فقد علق في أذهان بعض المسلمين ان الزهد يرادف الفقر ويكافئ العدم، وانه اعتزال المجتمع واللجوء الى غار أو كهف في جبل ناءٍ عن المجتمع بعيداً عن أنظار الناس. بهذا عُرف الزهد والزاهد. وهذا الامام علي(ع) كان يرأس الحكومة الاسلامية وكانت بيده أموال كثيرة ومع ذلك كان غاية في الزهد، لم يكن ليظلم أحداً في جلب شعيرة. كان أميراً لا أسيراً وهو المناط والأصل. فهذه مسألة كان من الواجب التنبيه عليها والاشارة اليها.

الصورة اما تطبع ملونة او أسود وابيض

آية الله الشيخ مكارم الشيرازي

المسألة الثانية: ان خير السبل للاجابة عن السؤال المار هو ملاحظة سيرة النبي الأكرم نفسه (ص) وسيرة الأئمة الهادين (عليهم السلام) والاعتبار بهما. ان أوّل فعل صدر عن رسول الله (ص) هو تشكيله الحكومة الاسلامية ثم تأسيسه بيت المال فلم يعتزل المجتمع ولم يتحاشى الناس. وعندما سمع خبر ظهور أسلحة جديدة في اليمن وهو في غزوة حنين بعث جماعة ليأتوه بها. وأمّا بساطة فراشه ولباسه وبيته فلأن حال بقية المسلمين لم يكن بأحسن من ذلك، وإلاّ فاستخدام الامكانات المتوافرة ضمن الحدود الطبيعية المتوسطة من قبل رئيس الدولة الاسلامية لايعد عيباً فيه اذا كانت وسائل الراحة حاصلة لعامّة المسلمين، حيث يقول الامام علي (ع): «**أأقنع أن يقال لي أمير المؤمنين...**»، ومفهوم كلامه أنه لو كانت حياة الناس في الحجاز واليمامة طبيعية وجارية، وكان لي طعام خير من هذا، لم يكن من ذلك بأس ولاعيب.

فما يتوهم ـ اذن ـ من ان معنى الزهد هو الانقطاع عن الدنيا والتخلف عن التطورات الجارية في العالم فهو خطأ محض. وببساطة، ان علينا أن نسعى لما يسعى وراءه العالم كله من استخدام الصناعات والتكنولوجيا المتطورة وأسلحة الدرجة الاولى وجميع المعدات والمكائن الزراعية. لكن على أن لانتظر اليها كهدف لنا بل كوسيلة لبلوغ أهدافنا.

● **التوحيد: خلصنا الى ان الاسلام يطالب أبناءه بالاهتمام بقضايا التنمية والتطور العلمي والتكنلوجي، والسعي لما يسعى وراءه العالم ـ كما تفضلتم ـ، شريطة أن يكون ذلك وسيلة لبلوغ الهدف الحقيقي، فلماذا تخلّف المسلمون عن الركب البشري في هذا المضمار؟**

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** لتخلف المسلمين وانحطاطهم عوامل عديدة، فنحن نعتقد ان المسائل والمشكلات الاجتماعية لاتنشأ من عامل واحد فقط، بل عادة مايتفق حدوث مجموعة كبيرة من العوامل وانضمامها الى بعضها وتظافرها جميعاً في ايجاد أمر اجتماعي معيّن. وأكتفي في الاجابة بذكر بعض النقاط المهمة:

أولاً: ان العديد من المسلمين لم يفهموا الاسلام على حقيقته، فكان ذلك سبباً في تخلفهم وانحطاطهم. ومثاله الواضح مسألة الزهد المارة الذكر، فان كثيراً من المسلمين لم يدر حقيقة الزهد والتوكل، فتوهّم ان التوكل هو ترك السعي مع ان ذلك خلاف التوكل تماماً. فان معنى التوكل هو أن تبذل كل طاقاتك في الأمر ثم تطلب ماوراء ذلك من

الله. فيكون معناه هو الاقدام وعدم اليأس. ونظير هذه الأخطاء في فهم القضايا الاسلامية كثير جداً.

ثانياً: ان الفتوحات الاسلامية أدت الى انهيال ثروات عظيمة على الدول الاسلامية في فترة معينة من الزمان، مما أدى الى تفشي الفساد في المجتمع، فبدلاً من أن تستخدم الثروات وسيلة لبلوغ السعادة والتقدم المنشود، تحولت الى وسيلة للتبطر والتسلية. وهكذا فقدت تلك الشجاعة الاسلامية، واندثرت المفاهيم والأسس الاسلامية الصحيحة، وتبددت الوحدة الاسلامية، وأدى ذلك الى تخلف المسلمين في آخر المطاف. وهكذا كانت الثروات الطائلة التي انهالت على البلدان الاسلامية وعدم استثمارها استثماراً صحيحاً من جملة العوامل المؤدية الى تخلف المسلمين.

خطأٌ محض أن يكون معنى الزهد هو الانقطاع عن الدنيا والتخلف عن التطورات الجارية في العالم

ثالثاً: العامل الخارجي، فقد حوّل عملاء الاستعمار ـ الذين ما انفكت الأفكار السامة المنحرفة تلقى رواجاً عظيماً بينهم ـ العالم الاسلامي المتحد الى ٤٦ جزءاً فأدّى الى تشتت القوى وتفتيت الطاقات، فكان هذا التقسيم ضربة أصابت كيان الاسلام في الصميم، وازداد الأمر سوءاً عندما أشعلوا نار الفتنة والنزاع بينهم وجعلوا الواحد في مواجهة الآخر. مما أدى الى تبديد القوى، وضياع الطاقات، فحدثت الحروب والنزاعات المسلحة بين ايران والدولة العثمانية، كما أشعلوا حروباً اخرى كثيرة بين العرب أنفسهم، كان آخرها اشتعال الحرب في الخليج بين عدد من الدول الاسلامية الظاهر. وكان الأجانب هم العامل الأساس فيها. فعلى المسلمين أن يدركوا ان تقدمهم يكمن في الوحدة، لا الوحدة بمعنى الإدغام، فقد تبقى الحدود بين الدول الاسلامية كما كانت، وانما الوحدة في المواقف والتعاون فيما بينهم. فعندما يتفرق المسلمون ويفكر كل في مصالحه الخاصة ولا شأن له بمصلحة الاسلام، فسيؤدي الى ضعف الجميع وسيطرة الأعداء واستحكامهم عليهم.

فالعوامل المهمة في انحطاط المسلمين وتخلفهم ثلاثة، هي: عدم الفهم الصحيح للمفاهيم الاسلامية، وانهيال الثروات الطائلة التي كانت منشأ للفساد والدمار، وتقسيم الدولة الاسلامية وتجزئتها الى دول صغيرة، ثم القاء العداوة واشعال نار الفتنة والحروب بينها، وتبديد قواها وطاقاتها. فلو ان المسلمين فهموا الاسلام فهماً صحيحاً، لاتحدوا وتصافوا، فان الاسلام يقول: «**لاتتخذوا بطانة من دونكم**» و «**ولاتركنوا الى الذين ظلموا**» ويقول أيضاً: «**فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك**» ويقول: «**تعاونوا على البرّ والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان**» و «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين...»، فكل هذه المفاهيم اعتراها النسيان، وعندما تنسى المفاهيم الاسلامية يكون طبيعياً وجود هذه الذلة.

● **التوحيد: وعلى ضوء ماتقدم، كيف تنظرون الى التخلف الحضاري والثقافي لدى المسلمين...؟**

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** هناك عاملان يمكنهما أن يسببا مثل هذا التخلف: أحدهما، التفسير

الغلط للاسلام، وذلك بتوهم بعضهم انه يتنافى والتقدم الحضاري والثقافي. وقد أدى هذا الفهم المغلوط فيه الى تضاد الحضارة والتقدم مع مفاهيم من قبيل الزهد، والتوكل، وأمثالهما. وهكذا صار هذا التضاد الوهمي أحد العوامل المؤدية الى انحطاط المسلمين وتخلفهم.

علينا أن نسعى وراء مايسعى وراءه كل العالم في استخدام الصناعات والتكنولوجيا المتطورة وأسلحة الدرجة الاولى وجميع المعادن والمكائن الزراعية

وهناك عامل آخر أيضاً هو استجابة المسلمين لوساوس الأعداء واصغاؤهم لهم. قالوا للمسلمين أولاً: دعوا الدنيا لأهل الدنيا، واطلبوا الآخرة. ثم أوجدوا بينهم الاختلافات، فلم يقدروا على التقدم، فكم كان يمكن لايران والكويت والعراق أن تتقدم لولا الصراعات والحروب المدمرة التي اصطنعها الأعداء بينهم، فدمّروا بذلك ايران الثورة، وحطموا قدرات العراق، كما خربوا الكويت وطحنوها بنار الحرب، مما أدى الى تخلف هذه البلدان جميعاً. فلو ان جميع الدول الاسلامية تمكنت من الوقوف على أقدامها وتمسكت بسياسة «لاشرقية ولاغربية» لكانت قد حققت التقدم. ماأشد خوف أعدائنا من الجمهورية الاسلامية في ايران! ها نحن نسمع اليوم تصريحاتهم بألاّ تقوم حكومة اسلامية في العراق... وألاّ تقوم حكومة اسلامية في افغانستان نظير ماهو موجود في ايران. فيتحتم علينا اذاً أن نفكر بجدٍ من أجل الوصول الى الاستقلال والجمهورية الاسلامية.

● التوحيد: وماهي الاسس الثقافية والتشريعية الاسلامية التي تصوغ الانسان المسلم باتجاه البناء والتقدم، اذا ماعرفنا أن محور كل تنمية هو الانسان والقوى والدوافع التي تحركه؟

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** ان أول عامل يمكنه أن يأخذ بالانسان نحو التقدم هو أن يعرف الانسان نفسه وقدراته التي وهبها الله له ليستخدمها وينتفع منها. والعامل الثاني: هو أن يخبر مجتمعه الذي يحيا فيه، فنحن لم نخبر بعد مجتمعاتنا الاسلامية وتأريخنا الاسلامي. لقد كان المسلمون هم رواد العلم والثقافة يوماً، وكان طلاب العلم يقصدون الدول الاسلامية من خارجها، عكس مايحصل اليوم. وكانت الكتب العلمية لعلماء الاسلام تدرس كمنهج دراسي في جامعات اوروبا، فكتب الشيخ ابن سينا ظلت منهجاً دراسياً في الجامعات الاوروبية طيلة ثلاثة قرون أو أكثر. فمعرفة أنفسنا، ونعم الله الكامنة فينا، وكيفية استثمارها والاستفادة منها، تعتبر المرحلة الاولى للسير في طريق التقدم.

والمرحلة الثانية هي: معرفة المجتمع الذي نحن فيه من النواحي التاريخية والجغرافية والفكرية، ومن حيث القوى والاستعدادات والطاقات.

والمرحلة الثالثة هي: الايمان.

والمرحلة الرابعة هي: الاخلاص. فاستمع الى مايقوله القرآن الكريم. يقول «**والذينَ جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا**»، فاذا كان الجهاد موجوداً

عدم استقرار الدولة الطائفية التي انتهجت على البلدان الاسلامية استبقت صحيحة من أصلة العوامل المؤدية الى تخلف المسلمين

فينا، واذا كان الاخلاص لله موجوداً أيضاً جاءت في اثره الهداية الإلٰهية. إن اللام في «لنهدينّهم» للتوكيد، ونهدي فعل مضارع للتأكيد والاستمرار، ونون التوكيد الثقيلة للتوكيد أيضاً. و «سُبلنا» وردت بصيغة الجمع. واذا وعد الله بشيء لم يتخلف. لأن المتخلف عن وعده إمّا عاجز، وإما جاهل، والله قادر على كل شيء وعالم بكل شيء. فاذا وعد الله الهداية للذين جاهدوا (فينا) أي كان جهادهم لله، لم يتخلف عن وعده. فالواجب على الامة الاسلامية أن تثور بكل ما اوتيت من قوة وعزم وتجاهد. والجهاد في الآية مطلق لا مقيد، فيشمل: الجهاد الثقافي، والجهاد السياسي، والجهاد العسكري، والجهاد الاقتصادي.. وجميع المجالات. فاذا كان الانسان يجاهد في جميع المجالات، ويكون جهاده لله «فينا» كانت الهداية الإلٰهية في اثره حتماً، ولاتتخلف أبداً. فهذه عوامل أربعة للتقدم في جميع المجالات.

● التوحيد: نتقدم لكم سماحة الشيخ بجزيل الشكر على تفضلكم بالاجابات.

■ **الشيخ مكارم الشيرازي:** ومن جهتي أرجو من العاملين في مجلة التوحيد أن يتمكنوا حقاً من تطبيق التوحيد في جميع مراحله.. توحيد في الصفوف والأفكار، وان يكون لعملهم دور مهم ان شاء الله تعالى. ●